الفصل الثانى

الشعراء المحبون بين

حديث العيون وهمس الجفون

سبحان من نوّر العيُون بأنوار الهُدَى!

* تحت هذا العنوان يقول الشاعر المهجرى ، رياض المعلوف:

فى كُلِّ آونة بعـــينىَ أَشْـــهَـــدُ
عَظَمـــات مُلْكِكَ كُلَّهـــا وأُعَـــدِّدُ
وكـفى بقـولى : «الله» حـتى تَنْتَـشِى
نفسى ، وتَشْخَصَ مُقلتاىَ فأسْجُدُ
نوّرتَ أعـــيُنَنَا بأنوارِ الهُـــدَى
فـــإذا بهنّ مـــشـــاعلٌ تَتَـــوقَّـــدُ
فـبكل عين للورى لكَ شَـمْـعَـة
مَنْذُورة ، وبكل صَـــدْرٍ مَـعْـبَـدُ
ياصـــاحبَ المُلك الذى لا يَنْتَـــهى
أبداً ، وسُـــدَّتُه المَلاَ والسِّـــرمَـــدُ
بينى وبينك أُلْفَـــةٌ ومَـــوَدّة
أبداً تزيدُ ودائمـــا تتـــجـــدَّدُ

مهمة الشاعر

ويقول إيليا أبو ماضى:

عندمـــا أبدعَ هذا الكَو نَ ربُّ العـــــالمينـا
ورأى كُلَّ الذى فـــيـــ ـه جـمـيـلاً وثمـينَا
خلق الشـــاعـــرَ كَىْ يَفْـتَحَ للناس عُـيُـونا
تُبْـصِـرُ الحُـسْنَ وتهْـوَا هُ حـــراكًـــا وسُكونَا
وزمـــــانـاً ومَكـانـاَ وشُـخُـوصًـا وشُـئُـونَا
فـــارتقى الخلق وكـــا نُوا قـــبلَه لاير تقـــونا
واستـمـرّ الحُـسْن فى الدنْيـ ـا ، ودام الحُبّ فنيـــا!

رسائلُ العيون إلى المحبين والشعراء!

.... والمحبون كثيرا ما يتلقوَن رسائلَ العيون ، وبها يتفاهمون :

* فمنهم من يفهم عن «**المقلتين**» ...فتحدثه العينُ كلها.

* ومنهم من تُحدّثُه «**اللحاظ**» .

(واللحظ: النظر بمؤْخرِ العين مما يلى الصدغ!).

* ومنهم من يُحدثه الجَفْن ، (وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها).

* ومنهم من يُحدّثه إنسانُ العين (وهو ناظرها!).

* ومنهم من تُحدّثه أهدابُ العين ، وشعرُ أشْفَارها..

* ومنهم من يَتَلَقّى رسائلَ عن الحاجبين...

* ويحدثنا جمال الدين بن مطروح عن قلبه الأسير فيقول:

سَلبتْه منّى يوم ساروا مُقلةٌ

مكحولةٌ أجفانُها بسوادِ!

* ويقولَ الأخطل الصغير:

رقدَت ترشُف الكرى مُقلتاها

مثلما ترشِيفُ العِطاشُ المياها

عَيْنَاكِ يا حبيبتى!!

وللشعراء قدرة على قراءة العيون....

تُرى ماذا قرأ الشاعر الدكتور : «**يوسف خليف**» فى عينى محبوبته ؟!

تعالَ إلى تأملاته:

عيناكِ ملْء سَنَاهُما فجرُ

إشراقتان رواهما النُّور

نَبْعَان حُجِّبَ فيهما سِرُّ

لكن على النظرات تعبيرُ
أسْلَمْتُ أيامى لأمرِهما
وخشعت أعبدُ فيهما ربى
ورضيت من دهرى بسحرهما
حَسْبِى جمالُهما حَسْبِى!

ولقد هام أحدهم بامرأة سوداء فراح يمجد السواد فى عينيها قائلا:

وإن سوادَ العين فى العين نورُها وما لبياض العين نورٌ فيُعْلما

قراءة فى عيون محبوبتى!

وهذا شاعر(*) راح يقرأ فى عينى محبويته ما بداله ، ثم ترجم لنا ما قرأ .... إنه يقول :

عيناك تَشْغَلانِ ألفَ خاطر
أُنشودةٌ للعاشقِ المسافر
عيناك فيهما ابتهالْ
أسطورتان من عوالم الخيالْ
لغزان فى حدائق السؤالْ
عيناك يا حبيبتى
وارفتا الظلالْ
عيناك للسقيم جُرعةُ الشفاءْ
وفرحة النقاءْ
عيناك يا حبيبتى
واعدتان بالعطاء!

(*) مجلة الزهور . ملحق الهلال يونيه ١٩٧٥ لعبد الهادى النجار .

هذا وقد أوضح الأستاذ العقاد فى «سارة» الصفات التى تعجبه فى المرأة نثرا فقال:

وعـيناها نجـلاوان وطْفَـاوان[1] !
تُخْـفـيـان الأسـرار!
ولا تُخـفـيـان النزعـات!
فـيـهـمـا خطفـة الصَّـقْـرِ..
ودَعَـةُ الحَـمَـامـة!

سمعت عينيك!

* ترى ماذا قالت العينان للشاعر فاروق شوشة، فسمعتهما أذناهُ؟! استمع إليه يقول:

سـمـعتُ عـينيكِ ومـا قـالتـا
سمعتُ كلَّ الهمسِ خلفَ الجفُونْ
أيقظتِ فى نفـسـي دبيبَ المنى
أَشْـعَلْت فى قَلْبى نِداءَ الحَنين
عـيناك...لم أشـهـد سِوَى مَـرْفَـأٍ
ترسـو عليـه سُـفْنُ المْتـعَـبين!

أحسن ما قبل فى فتور الطرف

* ذكر أبو على القالى : أن أحسن ما قيل فى «**فتور الطرف**» قول القائل:

ضـعـيـفـةُ كَـرِّ الطرفِ تحْـسَبُ أنهـا
قـريبـةُ عـهـدٍ بالإفـاقـةِ من سُكْرِ!

---

(١) الدعج : يقال : دعجت العين : اشتد سوادها وبياضها واتسعت ، والوطف : كثرة شعر الحاجبين والأهداب مع استرخاء وطول .

من تجارب شعراء العيون قديما وحديثا!

هام الشعراء قديما وحديثا بالعيون ، وكان لكل منهم تجربته الفريدة...

* فمن الشعراء من أردته «**النظرة الأولى**» فقال:

مـا يفـعلُ الســحرُ بالألبـابِ فى سنةٍ

فى الحال تفعلُه الأحداقُ والطُّرَرُ[1]

* ومنهم من كانت تُحييه نظرة ، وتميته نظرة كالذى يقول:

الوجـهُ منك عن الصَّــوابِ يُضلُّنى

وإذا ضَلَلْتُ فـــإنه يَهـــدينى!

وتُمـــيـــتُنى الأَلْحـــاظُ منك بنظرةٍ

وإذا أردت بنـظـرة تُحـــيـــينى

* ومنهم من عَرَتْه حالة غريبة ، فتملكته «**الغَيْرة**»[2] من عينيه فمنعهما النظر إلى المحبوب كالذى يقول:

إنى لأَحْـــسُـــدُ ناظرىّ عَليْكاَ

حـــتى أَغُضّ إذا نظرتُ إليكا

* ومنهم من كان يرى أنه لا يستحق شرف النظر إلى المحبوب ، فقد قيل لبعضهم : أتحب أن ترى عَيْنَىْ محبوبك؟

قال : لا . قيل : ولم ؟ قال: «**أُنزِّه عَيْنَيْه عن عيون مثلى**»

* ولقد بلغت الغيرة من ديك الجن الحِمْصى أن قتل جاريته وبكاها ولما سئل عن سر بكائه عليها بعد قتلها قال:

مـا كـان قَـتْلِيَـهَـا لأنى لم أَكُنْ

أبكى إذا سـقط الغُـبـار عليـهـا[3]

---

(١) الطُّرر : جمع طُرَّة ، وهى القُصَّة . وما تطره المرأة من الشَّعر الموفى على جبهتها وتصففه .

(٢) ارجع إلى كتاب الغيرة لمحمد إبراهيم سليم .

(٣) قَتْلِيَهَا : أى قتلى إياها .

لكن بَخلْتُ على سـواىَ بحُـسنهـا

وأغـار من نظرِ العُـيْـون إليـهـا!

* وقديما تمنى «جميل» أن يكون أعمى أصمَّ تقوده «بثينةُ» حيث يقول:

ألا ليـتنى أعْـمىَ أصَمَّ تقـودُنى

بُثَـيْنَةُ لا يخـفَى عَلَىّ كـلامُـهـا

عيون المرأة فى عينى البحترى

* لقد التقت العينان : عين الشاعر الولهى ، وعين الحبيب السَّكْرى:

بيـضـاءُ يُعطيك القَـضِـيبُ قَـوامـهَـا

ويُريكَ عَـيْنَيْـهـا الغـزالُ الأحْـوَرُ

* وكم أعجبته عيونُ الغزلان ..فهى شديدة السواد... شديدة البياض!

أمَا ومَا احْمَرّ من وَرْدِ الخُدود ضُحًى

واحـورّ فى دعَجٍ من أعـيُنِ العِينِ

* إنها حوراءُ دَعجاء واسعة المقلة:

وألحـاظُ عينٍ مـا عَلِقْنَ بفـارغٍ

فَـخَلّيْنه حـتى لايكونَ لَهُ شُـغْلُ

لقد خفق قلبه وغدا مشغولا:

أظالمةَ العَـيْـيَنين مظلومـةَ الحَـشَـا

ضـعـيـفـتَـه ، كُـفّى الخـيـالَ المؤرّقـا

* إنها عيون ظالمة شغلته ، وأوقعته فى حبالها ، فكتب عليه التسهيد:

جائر فى الحكم لو شاعَ قَصَدَ[1]

أخـذ النومَ وأعطانى السَّـهَـدْ

(١) قَصَد : توسط لم يُفرّط ولم يُفْرط ، وعدل ولم يَمِلْ .

* إنها شغلان لاشغل واحد من اللَّحظ واللفظ:

أرسَلَت شُغْلين من لفظٍ محاسنه

تُدْوِى الصحيحَ ، ولحظٍ يُسْكر الصاحى[1]

* وعنده أن الدموع هى الصبابة!

هل كان من غواة المظاهر ، فلابد من الدموع والتنهيد ليؤكد حبه ، أو نذهب معه فى القول بأن الدموع راحة وعزاء ودواء:

إن الدموعَ هى الصَّبَابةُ فاطَّرِحْ

بعضَ الصَّبَابةِ تسترح بهمولها[2]

* دائما بكاء!

ولعله لمح هذا السؤال فى وجه معاصريه ، أو توقعه من سامعه ، فحاول أن يرد عليه بأكثر من صورة ....من جواب ...فنراه يقول:

فلا عارَ إن أجزع فهجرك آلَ بى

جَزُوعًا ، وإن أُغلب ، فحبُّك غالبى

النظرات تلتقى!

* ويقول شاعرنا عباس محمود العقاد تحت عنوان:

«النظرات تلتقى»:

نظراتُ العين فى العَيْنِ

جَمَعت أشواقَ نَفْسَيْن

تلك أحْلَى ما حَلَمْت به

من نعيمٍ فى الحياتين!

---

(١) تدوى (بتاء مضمومة) تمرض .

(٢) الديوان ص ٢٢٣ .

اللمح المضىء

* ويقول أيضا تحت عنوان : «غزل فلسفى» فيك من كل شىء:

فيك من «شمس الضحى» العَيْنُ التى
تُرسلُ اللَّمْحَ مُـضـيـئًـا فى الظلام
فـيك من «بدر الدجى» أحـلامُـهُ
حين يَسْـرى نائمـاً بين نيـام

للّه ما تفعل العيون!

* يقول شهاب الدين فى العيون الفاترة:

طَرْفُك هذا به فُتـورُ ... أضحى لقلبى به فُتونُ
قد كنتُ لَوْلاَهُ فى أمـانٍ ... لله ما تفعل العيـون!

خلجات الأعين

* وفى ديوان «ألحان مصرية» تحت عنوان : قُولى لهم:

يقول شاعرنا:

قـولِى لهم وأَعْلنى : أُحبّـه ....يُحبُّنى
أماترون حُـبَّنَا فى خلجَـات الأعين؟!
أمـا ترونى أنه .... أمـا ترون أننى
أُحـبّـه ... يحـبنى؟

جزيرة زمرد

ويقول:

عـيناكَ يا مُـسَـهّـدى ...جـزيرةُ زُمُـرُّدِ

لفَّهُما شَعْرُك فى بُحَيْرَهِ من عَسْجَدِ

ويقول:

يا حبيبى ، جَفَتِ الأدمعُ من فرط وجيبى
كلما قلت : حبيبى ...قالت الريح : حبيبى
الصدى يُرْجع لى ما قلتُ ، أم أنتَ مُحبيبى؟

خائنة الأعين

ويقول:

آمنتُ بالحـــبِّ ولَمْ تُؤْمـــــنى
ويْحَكِ ! يا خائنةَ الأعـــــين!
طبيعةٌ فيـــك ويا طَالَمـــــا
حاولتُ أَثنيـــها فلم تَنْثَـــــنِ
أَشْهَدُها فـــى النظرات التـــى
تصدرُ عـــن وُجْدانِك الهيَّـــن
وكم تَحَايَـــلْتِ لإخفائهـــا
فى شَعْـــرِك الهادِل كالسَّوسَـــنِ
فـانْفَلَتَتْ منه فـغَلَّفْـتِـهَـــا
بكَسْـــر حَـــفْنَيْك فلَمْ تُحَـــسِنى

كيف غدت عين المحبوب؟

* يقول الشاعر أبو الفرج الببغاء:

أراقتْ دَمِي ظُلْماً مَحَاسِنُ وَجْهِه
فـأضـحى وفى عـينيـه آثارُه تبـدو

غـدَتْ عَـيْنُه كـالخَـدّ حـتى كـأنمّا

سَـقَى عَـيْنَيْـه من مـاء توريده الخَـدُّ

طرف الشمس مطروف!

وكأن «طرف الشمس» مَطْرُوفٌ وقد

جُـعِلَ الغـبـار له مكان الإِثْـمِـدِ[1]

شتان بين جوده وجود الغمام!

* قال أبو الفروج الوأْوَاء فى سيف الدولة:

من قـاس جـدواكَ[2] بالغـمـام فـمـا

أنـصـف فـى الحـكـم بـين شـكـلـين

أنـت إذا جـــدت ضـــاحك أبدا

وهـو إذا جـــــاد دامِـعُ الـعـين

الأجفان القريحة!

* ومما يقطر منه ماء الظَّرف قول كُشاجم:

يامن لأجفانٍ قريحـــهْ! سُهّدت لأجفان مَليحَهْ[3]

لم تترك المقلُ المريـــــــــضةُ فىّ جارحةً صحيحه

* ويقول الأخطل الصغير:

جَفْنُه علّم الغزَل ومن العلم ما قَتَلْ

* ويشكو معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفى إلى الله مما أصابه من «سِهام الجفون» فيقول:

---

(١) الإثمد : الكحل .

(٢) الجدوى : العطية .

(٣) القريحة : الجريحة من طول ما سهرت فى حب تلك الأعين المليحة . والملاحة البهجة وحسن المنظر.

أشكو إلى الله من نارين : واحـــدةٍ
فى وَجْنَتَيْه ، وأخرى منه فى كَبِدِى!
ومن سَقَامَيْنِ : سَقَم قد أحَلّ دمى
من الجُفون ، وسَقَمٍ حلّ فى جَسَدِى[1]
ومن نَمُـومَين: دمـعى حين أذكـرُه
يُذيع سِـرِّى ، وواشٍ منه بالرَّصَـدِ[2]
خُـذُوا بَدمي هذا الغـزالَ فـإنه
رمَانى بَسْـهمِ مُـقْلَتَيْـهِ على عـمـدِ
ولا تقـتلوه إننى أنا عـبـده
وفى مـذهبى لا يقـتل الحُـرُّ بالعَـبـد!

* ويشاركه البُهلول فى طلب العون ، ولكنه يرى أن يقتصوا منه ، فيقول:

خُـذُوا بدمى مَن رام قـتلى بِلَحْظِه
ولم يَخْشَ بطشَ اللهِ فى قَاتِلِ العَمْـدِ
وقُـودُوا به جَـبْـرا وإن كنتُ عـبـدَه
ليـعلمَ أن الحُـرّ يُقْـتَلُ بالعَـبْـد

العيُونُ التى فى طرفها حَوَرُ

يرى النقاد أن بيوت الشعر أربعة :

فخر ، ومديح ، وهجاء ، ونَسيب (غزل).

وكان الشاعر جرير أفحل شعراء الإسلام فى هذه الأربعة ، وفى النسيب والغزل . يقول فى حورِ العيون:

---

(١) يقال : أسقمه العشق : أمرضه وأضناه .

(٢) النمام والواشى : من يذيع السر ، ويفشى ما كان مستوراً ، ودمعه ينم عليه ويكشف سره ، والواشى : من يتتبع المحبين ، ويرصد حركاتهم ، ويذيع ما خفى من أمرهم .

إنّ العُيُونَ التى فى طَرْفِها حَوَرٌ
قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِينَ قَتلانا[1]
يصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حَتّى لا حَرَاكَ به
وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ إنسانا[2]

عين الحبيب ونظرتى!

* يقول ابن النقيب فى عين الحبيب:

وما بِى سِوَى عينٍ نظرتُ لِحُسْنِهَا
وذاك لجهلى بالعيونِ ، وغِرَّتى[3]
وقالوا : به فى الحب عين ونظرة
لقد صَدَقوا ؛ عين الحبيب ونظرتى!

بحقكم يا جائرون!

بِحَقِّكم ياجائرون تَعَطَّفُوا
فقَدْ رقّ لى من جَوْرِكمُ كلُّ شامِتِ
ولا تبخلوا أن تسمحوا لى بنظرةٍ
تخفف أشجانى ، وفَرْطَ صبابتى

نظرة ... وحيرة

* ويقول البهلول:

نظرت إليها نظرةً فتحيّرت دقائقُ فكرى فى بَديع صفاتِها

---

(١) الحَوَر : شدة بياض بياضِ العين مع شدة سواد سوادها .
(٢) اللّب : العقل ، وإنسان العين : ناظرها «النِّنُّ» .
(٣) الغِرة : الغفلة .

سُلْطَان العيون!

* وهذا شاعر ينوء بسلطان العيون ، فيقول:

أينمـــا كـــنـت كان للكهـــرباء ... أثر فـى النفـــوس والأهـــواء
مـا عجـــيبٌ ومَقْلَـــتاك ظـــلامٌ ... أن تكونا مُسْـتَوْدعاً للظَّـــلامِ
تَنْسُجان الحـياةَ حـــيناً وحـــيناً ... تنسجان الـممات للأحـيـــاء
يا عيوناً ولســـتُ أفـــرِق فيهـا ... بينَ زُرق العُـــيونِ والسَّـــوْدَاء
ليس فيها إذا اعتلت فوق عرشِ الـ ... خَـدِّ غيرُ المليحة الحســـنـاء
آمـــراتٍ كـأنهـــا وارثـــاتٌ الـ ... مُلْـك من عَهد أُمنًا حـــواءِ
فكأن القلوبَ بعـــضُ عَبيـــدٍ ... وكأنَّ النفوسَ بعـــضُ إِمَـــاءِ

حذار أن تلوم المحبين!

فـــــلا تـلـم المحبّ عـلـى هـواه
فكُلُّ مُـتَـيَّمٍ كَلِفٍ عَـمـيـدِ[1]
يَظُن حَـبِـيـبَـهُ حـسنًا جـمـيـلاً
وإن كـــان الحـبـيبُ من القُـرودِ

شَرَك العينين

من أشهر القصائد الغزلية :
يالَيْلُ ؛ الصَّبُّ متى غَدُهُ؟» للحُصْرِى القَيْروانى ، وقد عارضها الشعراء بمثلها وقد جاء فيها:

نَصَـــبَتْ عَـــيْنَاىَ له شَـــرَكًـــا
فى النومِ فَـــعَـــزَّ تَصَـــيُّـــدُه

(١) العميد : المشغوف عشقا .

يَنْضُــو مِن مُــقْلتِــه سَــيْــفًــا
وكــأنّ نُعَــاسًــا يُغْــمِــدُه[1]
فــيُــرِيقُ دَمَ العُــشــاقِ به
والـوَيْـلُ لمـن يَـتَــقَـلَّـدُه

وإليك طائفة من تلك المعارضات التى تشبه الأصل...

معارضات ياليل الصب

أسدى العلامة «أحمد تيمور باشا» – رحمةُ الله عليه – إلينا فضلا كبيرا فى جمع معارضات قصيدة الحصرى ، والتى جاءت على منوالها وزنا وقافية ، وقد اخترت من «قصيدة الحصرى» وقصائد المعارضين ما تناول العيون مما يناسب كتابنا هذا.

فن السحر مستمد من عينيك

* عارض نجم الدين القمراوى قصيدة الحُصْرى، ومما جاء فى قصيدته:

قَدْ مَلّ مريضَكَ عُوّدُه[2] ورثَى لأسيرك حُسّــــدُه
هاروتُ[3] يُعَنْعِنُ فَنَّ السِّـ ـحْرِ إلى عَيْنَيْكَ ويُسْنِــــدُهُ
وإذا أغْمَضْتَ اللَّحــظَ فَتَكْــتَ فكيفَ وأنتَ تجـرّدُهُ
كم سَهّل خدُّك وجْه رضًا والحاجبُ منك يعُقّــــدُهُ

(١) ينضو : يخرج ، ويقال : نضا سيفه من جفنه . والمقلة : العين كلها . والنُّعاسُ : فتور فى الحواس ، والوسن من غير نوم . وهكذا تكون أعين المحبين! !

(٢) عُوّدُه : زوّارُه .

(٣) هاروت : هاروت وماروت كان يعلمان الناس السحر فهما المرجع ، ومع هذا يرى الشاعر أنه يسنده وينسبه إلى محبوبه .. إذا سئل عن مصدره قال : عن محبوب الشاعر . وهو المراد بالعنعنة .

ويقول ناصح الدين الأرجّاني معارضا

هل أنت بطُولك مُسْعـدُه ... ياليلُ فصُبْحك موعـــدُه
عيناك لسفك دمى جنَتَـا ... فالصُّدغُ[1] علامَ تُجعِّـــدُه؟

ويقول شمس الدين الحسيني

صَبٌّ بالهجر تُهـــدّدُه ... قد ذاب جوًى ، مَنْ يُنجده؟!
سهرانُ الطَّرْفِ له رقتْ ... فى الليل نجوم تُسْهِـــدُهُ

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقى

مُضْنَاك جفَاهُ مَرْقَـــدُهُ ... وبكاهُ ورَحّم عُـــوّدُه
كم مَدّ لطيفك من شرَكٍ ... وتأدّب لا يَتَصَـــيَّدُهُ
فعساك بغَمْضٍ مُسْعفُـــه ... ولَعَلّ خيالَك مُسْعـــدُه
حجدَتْ عيناك زَكىَّ دمى ... أكذلك خدُّك يَجْحَـدُه؟!
قد عزّ شهُودى إذْ رمتَـــا ... فأشرْتُ لخدّك أُشْهِـــدُهُ
قد بان الحبُّ لذى عَيْنَيـــــن وهذا الشوق يؤكـــده
«شوقى» جوّد فى الشعر وقل: ... آمنتُ بأنكَ أوحـــدُه!

ويقول خير الدين الزِّركلى

والعينُ أبَتْ إلا دَمَها ... تُجريه لعلّك تَشْهَدُه
مُضْنَاكَ دَلالُك أتْلَفَهُ ... هَلاَ بحنَانك تُنْجِدُهُ

---

(١) يراد بالصُّدغ : الشعر فوقه . وهو جانب الوجه من العين إلى الأذن . وقد تغنى الشعراء بواوات الأصداغ على حدود الملاح !

ويقول عبد الحميد الرافعى

سُلْطَانُ الحُسْنِ وسُـــؤْدُدُهُ ... لَحْظٌ ما فُلّ مُهنّـــدُه[1]

وعيونُ الغيد علـــى دَنَـــفٍ ... وضَنىً يُعدى من يشهـــده

أنّى نظرتَ شَهَرَت عَضْباً[2] ... بفؤاد الباسل تُغْمـــــدُه

تلك القـــــوةُ فـى ضَعْـفٍ ... لو صَدَمت ليثاً تُقْعِـــدُه!

ويقول جميل صدقى الزهاوى

يمشى المحبوبُ ويَنْظُرُنى ... لا أدرى ماذا مَقْصـــــدُه؟!

اللحظُ يُسَدِّدُهُ نحـــوى ... ما أمضىَ اللحظَ يُسَـــدِّدُهُ

فى مقلتيه حَتْفِى كامن!

ويقول السَّرىُّ الرّفاء:

بنفـــسى من أجـــودُ له بنفـــسى

ويبَـــخلُ بالتـــحـــيـــة والســـلامِ

وحَـــتْـــفِى كـــامِنٌ فى مُـــقْلَتَـــيْـــه

كـــمُـــونَ الموتَ فى حَـــدّ الحُـــسامِ

تلفّتُ العين وتَلَفُّتُ القلب

* ويقـــــول الشـــــريف الرضى:

وتَلَفَّـتَتْ عَـينى فَـمُـذْ خَـفِـيَتْ

عَـنىً الـطُّـلـولُ ، تـلـفّـتَ الـقـلـبُ!

---

(١) المهند السيف . ما فُلّ : ما توقف عن القطع .

(٢) عَضب : السيف القاطع .

* ومن الشعراء المحبين من تأخذه عزة النفس ، فيقول:

لو تمنى البُـــعـــدَ عَنّى

نورُ عـينى ؛ مـا تبـعـتُـه

* ومنهم من لا يكف عن ذكره إن غاب عنه فيقول:

إن غبت عن عِيانى يا غايةَ الأمانـــــى

فالفكر فى ضميرى والذكر فى لسانـــى

عجيبَ أمرُ العينِ والقَلب!

* **ومن عَـجَبٍ أنى أحِنّ إليـهـمُ**

وأسأل عنهم من لقيتُ وهم مَعِى!

وتطلبُهم «عيْنِى» وهم فى سوادها

ويشتاقُهُمْ «قلبى» وهم بين أضلعى!!

* وهذا كما قيل:

يا مُـقـيـمًـا فى خـاطرى وجَنَانى

وبعـيـدا عن ناظرى وعِـيـانى

أنت روحى إن كنتُ لستُ أراها

فـــهى أدنى إلىّ من كل دانى

* وقد عرف بعضهم المحبة بأنها حضور المحبوب عند المحب دائما كما قيل:

خيـالُك فى عَيْنى ، وذكرُك فى فمى

ومثواك فى قلبى ، فأين تغيب؟!

ينبوعان للإبداع!

* وتحت عنوان: «أمام خيمة الخليل[1]» يقول الشاعر : سليمان العيسى:

عـــينـان يَنْبُـــوعـــان للإبـداع

عـينان تأتلقـان ...ألف شـعـاع

* ثم يقول فى إشارة منه إلى «كتاب العين» أول كتاب فى العربية وضعه الخَليل بن أحمد:

ويمضى المبدعُ العملاقُ يراعٌ قادرٌ خَـــــلاّقُ
يَلُمُّ شواردَ الفُصْحَـــى ويطوى فى عَبَاءته المدى
تطوى بها الآفاقُ!

أيهما أقوى نفوذا وتأثيرا
لغة الكلام أم لغة الهوى؟

* يوم أن كان أمير الشعراء شوقى بلبنان وقع على صيد جميل ، فجرى وراءه ، ومشى الصيد إليه ، وليس أول جؤذر[1] وقعت عليه حبائله:

قد جاءَ من سِحْرِ العُيون فصادنى

وأتيتُ من سِحْـرِ البيـانِ فـصِـدْتُه

* وفى باريس راح يُنشد شعرا جميلا ينبعث من قرارة نفسه ، فيقول:

نظرة فـــابتـــســامـــة فـــســلام

فكلام ، فـــمـــوعـــد ، فلقـــاء

---

(١) الخليل بن أحمد : مبدع العروض فى الشعر العربى .

(٢) الجُؤذَر (بضم الجيم وفتح الذال أو ضمها) ولد البقرة الوحشية . والجمع جآذر . وتشبه عيون الحسناوات بعيون بقر الوحش فى سعتها .

يوم كنا ، ولا تَسَلْ كيف كنا

نتهادى من الهوى ما نشاء

وعلينا من العفاف رقيب

تعبت فى مِراسِه[1] الأهواء!

من أعلم العين؟!

ويتساءل شاعرنا عن سرّ طالما شغل باله ، فيقول:

هامت بِك العينُ ، لم تَتْبَعْ سواك هَوًى

مَنْ أعلَمَ العيَن أن القلبَ يهواكَ؟!

عيناك

* والشاعر بدر السَّياب ...كيف رأى عينى محبوبته؟

عيناك غابتا نخيل ساعَةَ السَّحَر

أو شُرْفتان راحَ ينأى عنهما[2] القمر!

* ويقول سُليمانُ العيسَى فى إشارة له إلى قصيدة السياب:

تعال يا بدرُ شَارِكْنا عَشِيَّتَنَا عنك الحديثُ ، ومن ديوانك الخبرُ

تعالَ من عَذَبات النخلِ وَشْوَشَةً من شُرفةٍ راحَ عَنْها يرحلُ القَمَرُ

إنا ضيوفك فانزل ...غابتاك هنا عينان يورق فى غَوريهما[3] السَّحَرُ

سيف لحاظه

* وسيف اللَّحاظِ كثيرا ما هدد المحبين ، وفى ذلك يقول سعد الدين بن العربى:

---

(١) المِراس (بكسر الميم) يقال : «فلان ذو مراس» : أى جلَد وقوة ممارسة للأمور .

(٢) السَّحَر : آخر الليل .. قبيل الفجر . وينأى : يبعد .

(٣) الغور : العمق .

وعلمتُ أن من الحـــديد فـــؤادَه

لما انتـضى من مُـقْلَتَـيـه مُـهنَّدَا[1]

سـيف ترقـرق فى شَـبَـاه فـرندُه

يأبى - بغير جوا نحى - أن يُغْمَدَا[2]

مَن مُنْصِـفى من جَـوْرِه ، فلقـد غـدا

بدمى ، وسَـيْف لَحـاظه مـتـقلدا[3]

سـلَب الـفـــــؤادَ إذا بَدا ، وإذا رنَا

فـضح الغـزالة ، والغـزالَ الأَغْـيَـدا[4]

* ويقول الشاعر على الجارم:

مـــالى فُـــتِنْتُ بلَحظك الفـتّـــاك

وَسَلوْتُ كُـلَّ مليـــــحـــــةٍ إلاك

* واللحظ مرآة صافية صادقة يظهر عليها ماتُخفيه الأنفسُ كما تدل الكتابة على عقل المرء:

وتنكرُ وُدَّ المرءِ فى لَحْظِ عـــينه

وتعـــرفُ عـــقلَ المرء حين تُكاتبـــه!

* وأى دليل على «**شدة فتك الألحاظ**» من أنها تفتك وهى مُغْمَدَة ، فما بالنا بها وهى «مجردة» وفي ذلك يقول شمس الدين القمراوى فى قصيدته الدالية التى عارض بها الحصرى القيروانى:

هاروتُ يُعنَعِنُ فَنَّ السِّـــــحْرِ إلى عينيكَ ويُسْنِدُه

---

(١) المهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند ، وكان خير الحديد آنذاك ، وانتضى السيف : أخرجه من غمده .

(٢) شباه : حد طرفه . والفرند (بكسر الفاء وسكون النون) : السيف ، وما يلمح فى صفحته من أثر تموج الضوء . وهو المراد هنا .

(٣) جوره : ظلمه . وتقلد السيف : علقه عليه .

(٤) رنا : أدام النظر فى سكون طرف . والأغيد : الناعم المتثنى .

وإذا أغمدتَ اللحظَ فتكـــتَ ، فكيفَ وأنت تجردُه

* وهناك من يرقص فرحا بعد أن ذُبح بلَحْظَىْ محبوبه ، فيقول:

وشادنٍ [1] رامَ ذبحَ الديّك ، قلت له:

يحـيـا بذبحك هذا راقـصًـا فَـرِحَـا

كم عـاشقٍ مـات من لحظيك مُنْذَبِحًا

وعـاد بالوَصْلِ حَـيًّـا بعـد أن ذُبِحَـا

* ويتساءل البابى عن حال قلبه الذى أقام فى رُبا الأحبة فأعاقته عن العودة إليه شراك الظِّبَا ؟! [2] فيقول:

ومـــا حـــالُ قلبى فى رُباهم فـــإنه

أقام بها بَعْدِى ، وطال بها عَهدِى؟!

أعَـاقـتـه ألحـاظ الظِّبـا بشـراكـهـا

وخَلَّفْنَه ، لم يدرِ مـا حـالهُ بعـدى؟!

* ويحذّر جمال الدين بن مطروح من لحظات «أعين العينِ» قائلا:

وحذارِ من لَحظَاتِ أَعْيُنِ عِينهِم [3]

فلَكَمْ صـــرعْنَ بهـــا من الآســـاد

* أما البُهلول فيقول:

كُلُ السيـوفِ قواطِعَ إن جُرِّدتْ [4]

وحُـسَـام لحظِكَ قـاطِعٌ فى غِـمـدِه

---

(١) الشادن : ولد الظبية ، والجمع شوادن . ويقال : شدن الظبى شدونا : ترعرع واستغنى عن أمه .

(٢) الظِّبا : جمع ظبية ، ويقال للظبْى : الغزال الأعفر ، وقديما تساءل شاعر عن ليلاه بين تلك الظباء حين اختلط عليه الأمر :

بالله ياظبيات القاع قُلْنَ لنا : لَيلاىَ منكنّ أم ليلى من البشر ؟!

(٣) يقال لبقر الوحش أَعيَنُ ، وعَيْناء لحسن عينه ، وجمعها عين ، وبها شبه النساء قال سبحانه: ﴿قاصرات الطرف عين - وحور عين﴾ وامرأة قاصرة الطرف : لا تمد طرفها إلى مالا يجوز .

(٤) جردت : سُلّت ، ونزعت من غمدها . والغِمد : جراب السيف .

إن شئتَ تقتلنى فأنت مُخَيَّر

من ذا يعارضُ سيّدا فى عبده؟!

* ويرى فى المقلتين فصاحة وقدرة على الرد بينما يتلعثم الفهم ، فيقول:

قلت : أهواكِ يا حَياتى فردّت

مُقلتاهُ ، لكن تَلَعْثَم فُوهُ

* ويرى ابن الفارض نفسه قتيلا بلا إثم ولا حرج بين معترك الأحداق والمهج:

ما بين مُعْتَرك الأحداق والمُهَج

أنا القتيلُ بلا إثم ولا حَرَجِ

* ويرى عنترةُ العَبْسِىّ أن سِهامَ اللحظ مالهن دواء ، فيقول فى ابنة عمه عبلة:

رمَتِ الفؤادَ مليحةٌ عذراءُ

بسهامِ لحظٍ مالهن دَوَاءُ

* ويرى ابن سهل الأندلسىّ أن الهوى كامن فى لحظ عينيها كمونَ المنايا فى الحسام المهند ، فيقول:

رعيتُ لِحاظى فى جمالك آمنًا

فأذهلنى عن مصدرى حُسْنُ موردى[1]

وأنّ الهوى فى لحظِ عينيك كامن

كُمُون المنَايَا فى الحُسَامِ المهَنَّدِ

عليكِ فَطَمْتُ العينَ عن لَذَّةِ الكَرَى[2]

وأخرجْتُ قلبى- طيبَ القلب عن يدى

---

(١) اللِّحاظ : مُؤْخِر العين مما يلى الصُّدغ والجمع : لُحُظ (بضمتين) .

والمورد : المنهل العذب . وصدر عن المورد : انصرف عنه ورجع .

(٢) الكرى : النوم .

أين عيناكَ تنظراني يا حبيبي؟!

* وها هو ذا أحد المحبين «المَنْسيِّين» يضع كفه فوق قلبه ، ودموعُه فوق خده ، فهل تشفع له حالته عند مَن أحبه؟!

أيهـــا الغـــائب الذى فى فـــؤادى

حـاضِرٌ ، كـيف حالُ قلبِك بعـدى؟!

أين عـــيناك تنـظرانى ؟! وكَـــفِّى

فـوق قلبى ، ومَـدْمَعي فـوق خـدى!!

رعاك الله يا غزاليّة العينين!

* وليس أمـام المحبين إلا الشكوى مما يلاقـونه من الوجـد ، وفى «**غـزاليّـة العينين**» يقول المعتضد بالله:

رعـا اللهُ من يَصْلَى فـؤادى بِحُـبّـه

سـعـيـدا ، وعـينى منه فى جَنّةِ الخُلد

غـزاليّـة العـينين ، شَـمْـسِـيّـةُ السَّنَا

كـثـيـبـيـةُ الرِّدْفين ، غـصْنِيّـةُ القَـدّ[1]

شكوت إليـهـا حُـبَّـهـا بمدامـعى

وأعلمتُـهـا مـا قـد لقـيت من الوَجْـدِ

وتلفتت عيني!

* لا يُذكر الشريف الرضى إلا وتُذكَرُ معه تلك الصورة الفريدة فى شعرنا العربى القديم ، صورة من يمر على آثار أحبائه بعد رحيلهم ، وتختفى الطلول من أمام عينيه ، فلا تستطيع العينان عند ذاك أن تريا شيئا ... ، هنا يتلفت

---

(١) غزالية العينين : عيناها تشبهان عينى الغزال كما قال آخر : فعيناك عيناها ، والسنا : الضوء الساطع ، فهى كالشمس ، والسناء : العلو والرفعة . وردفاها كالكثيب الرملى ، وقدها كالغصن فى لينه وتثنيه.

القلبُ ، فَتَمْتَدُّ دائرة البصر، ويبصر القلب بعين البصيرة بعد أن عجزت عيناه! وفى ذلك يقول:

وتلفتت عينى ، فمُذْ خَفِيَتْ

عنى الطُّلُولُ تلقّتَ القلبُ

فيض السحر

* وتظل العينان على مدى الزمان ... وفى كل مكان أنشوده الأحباء والخلان ، فها هو ذا شاعرنا الحديث فاروق شوشة يستوقفه فيض سحرهما فيقول فى قصيدة عنوانها : «لؤلؤة القلب» :

عيناك ...فيض السِّحْرِ ...فيض الحنان

عيناك ...من تِبْرٍ هما ، أَمْ جُمان؟!

هل تذكرين؟!

وتحت هذا العنوان يقول:

بأعماق عينيك أبصرتُ حُبى

وأبصرتُ واحة أمنٍ وخصْبِ

فياطائرى الحلوُ ، عيناك أفْقى

وخطوُك لحنى ، ودَرْبُكَ دَرْبى

سأذكر بارقةً من حنين

أضاءت بقلبى فَرَاغَ السنين

وأذكر موجةَ حُبٍّ دفين

تُداعب أحلامَنا كُلّ حين

وتطفو على صفحات العيون

سأذكر ما عشتُ ، هل تذكرين!

واحة عمرى

وتحت هذا العنوان يقول:

أدعـــوك فـــتـــشـــرق فى قلبى
صـــفـــحـــةُ أيّامى البـــيـــضـــاء
وأراك وضـــيـــئـــا ... ومُطِلاً
فى عينِ جـــمـــيعِ السُّـــعَـــدَاء
أنْ تَجـــعَلَ أيّامِى قـــبَـــسًـــا
مِـنْ أمـلٍ حُـلْـوٍ ورَجَـــــــاء

الأذن والعين فى الهوى سيان

يقـول أبو يعـقـوب الخُرَيْمى فى هذا المعنى ، وكـان قـد عَوِرَ ثم عَـمِىَ ! ، وقيل : إنها للخليل بن أحمد:

قـالت : أتهـزأ بى؟! غـداة لَقِـيتُـهـا
يااللَّرِّجـالِ لِصـبْـوةِ العُـمْـيَـانِ!
فـأجـبـتـهُـا : نفـسى فـداؤكِ ، إنما
أُذْنى وعَـيْنى فى الهـوى سـيـان!

ناظر القلب وناظر العين

ويقول الحكم بن قنبر مُسَلِّيا نفسهَ عن بعد من يحب:

إن كنت لستَ معى ، فالذكرُ منك معى
يرعـاك قلبى ، وإن غُيِّبْتَ عن بصرى
العينُ تُبْـصِـر من تهْـوَى وتَفْـقِـدُهُ
وناظرُ القـلـب لا يـخـلـو من الـنـظـر

كم نظرة منك تشفى النفس!!

* أما الشَّريفُ الرضى فيقول:

كم نظرةٍ منكِ تَشْفِى النفسَ من عَرَضِ
وتُرجع القلبَ مِنّى جِـــدُّ مُنْتَكِسِ
تَلَذُّ عَـــيْنى ، وقَلْبِى مِنْكِ فى أَلَمٍ
فالقلبُ فى مـأتَمٍ ، والعينُ فى عُـرْسِ

والجروح قصاصٌ!

* وأما أبو الفتح البُسْتى فيرى الفرقَ عظيما بين ما تتركه نظرته إليها ، ونظرتها إليه فيقول:

رمـيـتُك عن حُكمِ القـضـاءِ بنظرةٍ
ومـالىَ عن حكم القـضـاءِ مَنَاصُ
فلمـا جـرحتُ الخـدَّ منكِ بَنظْرةٍ
جرحتِ فـؤادى والجـروحُ قـصـاص!

شعراء البديع

* شغلت العيونُ شعراءَ البديع فهاموا بها وتَغَنَّوْا بجمالها وسحرها...

* يقول أحدهم:

وغادةٍ[1] كأنهـــا شمسُ الضحى تألقَتْ
كم أشرقت بدمعها عينىَ لَمّا أشرقـــت
ما تركت لى رمَقًـا مُقلتُها إذ رَمَقَـــتْ[2]

* ويقول الصفدى:

---

(١) الغادة : من الفتيات : الناعمة اللينة . والغيد جمع غيداء : وهى المتمايلة فى لين ونعومة .

(٢) الرمَق : بقية الروح فى المريض . ورمقت نظرت .

أسكنت طرفَك طَرْفى حتـــى أُوارى أُوَارِى[1]

فحين جاورتَ دَمْعِى جعلت جارَك جَـــارى

* ويقول آخر:

إن عينًا لاتَراكُـــمْ دمعها فيه تَراكَـــمْ

* ويقول غيره:

وقـــــالوا : أى شىء منه أحلى؟

فـقلت : المقلتـان المَقْـتـلان[2]

عيناك عيناها

* ويرى الشاعر «غزالة» فيرى فى عينيها عَيْنىْ محبوبته وكأنما جِيدُها هو جيدُها[3] فيقول:

فـعيناكِ عَيناها ، وجِيـدُك جِيـدُها

ولكنّ عظمَ الســاقِ منكِ دقـيق!

* أما الشابُّ الظريف فيراها مثلَ الغزال نظرةً ولفتة:

مِـــثلُ الغـــزالِ نظرةً ولفـــتـــةً

مَنْ ذَا رآهُ مُـقْـبـلاً ولا افـتتن؟!

* ورسائل الطَّرْفِ أبلغ من كل لسان ، وفى ذلك يقول أحدهم:

أَشَـارتْ بطرفِ العين خِـيـفـةَ أهلهـا

إشـــارة مَـــحْـــزُون ، ولـم تَتَكلمِ

فأيقنت أن الطرف قـد قال : مَرْحَبًا

وأهلا وســهــلا بالحـبـيب المتـيم

---

(١) أوارى : أدارى . أوارى : عطشى ولهيبى .

(٢) المقتلان : فيهما قتلى وموتى .

(٣) الجِيد (بكسر الجيم ، وسكون الياء) : العنق . ومُقدَّمه ، وموضع القلادة .

الجُفُون السَّوَاحِرُ!

وآه من الجفون ، وما يفعله جحودها بالمحبين!

* وإننا لنستمعُ إلى أحدهم وهو يقول:

يا مَن حَـجَـدَتْ عـيناه زَكِيّ دَمِى

وعـلـى خَـــــــــدَّيـه تَـوَرُّدُه!

خـــدّاك قـــد اعـــتـــرفـــا بدمى

فـعَـلامَ جُـفـونُك تَجْـحَـدُهُ؟!

* أما معتوق بن شهاب الموسوى فيقول:

أمَا والهوى ، لولا الجُفُونُ السَّواحِر

لَمـا عَلِقت فى الحُبِّ منا الخـواطر

ولولا العـيـونُ الناعـسـاتُ لما رَعَتْ

نجـومَ الدُّجَى منا- العـيـونُ السَّـواهِرُ

الأهداب والجفون

ولعل من أروع صور الشاعر«شهاب» الغزلية تلك اللوحة التى رسمها لسحر العيون فى قصيدته : «عيناك» . وفيها يقول:

لعـينَيْكِ سِـحْـرُ الحُـسْنِ حين يَفُـوقُ

وإنى لِسُلْطان العـيـون رقـيق

لِعَيْنَيْك وَمْضٌ يَخْطِفُ الطَّرْفَ مِثْلَماَ

تألّق بَرْقٌ فى الظلامِ سـحـيقُ

لعـينيك أسـرارٌ أهيم بِحَلّهَـا

«رُمـوشٌ» ...وجَـفْنَ ناعِسٌ ...وبَريقُ

لعينيك دِفْءٌ ، بل جحيَم يُذيبنى
متى كان من ماءٍ يَشُبُّ حريق؟!
فيافَذَّة العينين لا تظلمى فتًى
بعينيك سكرانُ وليس يُفيقُ
رأى الموتَ فى عَينيك عَذْبًا مَذَاقُه
فمِن أىِّ عين تأمرين يَذُوقُ!
كَأَنِّى فَراشٌ فى المصابيح حَتْفُه
ويَسْعَى إليها جاهدًا ويَتُوقُ
حَنَانَيْكِ فى عَيْنَيْك أحيا مُحلَّقًا
ولكننى فى مُقْلتَيْكِ غريقُ!

مسكين من رَمَتْه المحاجر!

* والشاعر جمال الدين بن مطروح يُحذِّر من طرفها الساحر قائلا:

خذوا حِذرَكُم من طرفها فهو ساحر
وليس بناجٍ مَن رمته المحاجِرُ[1]
فإن العيون السُّودَ وهْى فوا تِرُ
تَقُدُّ السيوف البيض وهْى بَواتِرُ
من القاصراتِ الطرف غارت لحسنها
ضرائرُهَا ، والنَّيِّراتُ ضرائرُ[2]

طيف الخيال

* ولقد أبدع الشعراء فى طيف الخيال ؛ لأنه رؤيا العين فى المنام ، وتَفَنَّنوا

(١) المحاجر : جمع مَحْجِر : ما أحاط بالعين . ويقال : مِحْجَر أيضا .

(٢) يقال امرأة قاصرة الطرف : خجلة حيِيّة ، وكذلك الفتاة لم تبلغ سن الرشد ، وداء الضرائر : الحَسَد.

فى معانيه ، فمنهم من قال:

نصبتْ جُفونى للخيال حبائلا

لعل خيالا فى الكَرى منه يسمح[1]

وكيف إذا أغمضتُهُنّ بصيده!

ومن عادةِ الأشراك لِلصَّيْدِ تُفْتَح

* ويقول كُشاجم:

لقد بَخِلتْ حَتّى بطَيفٍ مُسلَم

علَىّ ، وقالت : رحمةً لِنَحِيبِى!

أخافُ على طَيْفى إذا جاء طارقا

وناداك أن يلقَاهُ طيفُ رَقِيبِى

* وفى «كلمة ورد غطائها» يقول صفى الدين الحِلّى:

قالت : كحّلْتَ الجفونَ بالوسَنِ[2]

قلت: ارتقابا لطيفِك الحَسَنِ

حلم لساعته تلاشى!

* ومن شعر الشبيبى تحت عنوان : «تذكروا أنّا عَطَاشى» :

يامُعرضا عنّى أشاح ... بوَجْهه حاشاك حاشا!

زُرتَ العيونَ لأننى ... مَهّدْتَ أهدابى فراشا

يا طَيفُ زوّدنى الهوى ... ما شئت من كَلَفٍ وماشَا[3]

أترُى يعودُ تُراهُ لى ... حُلمٌ لساعته تلاشى ؟

---

(١) الكرَى : النوم .

(٢) الوسن : فتور الطرف ، والغفلة .

(٣) وماشا : أى وما شاء .

جفت عينه عن التغميض

* يقول بشار بن برد:

جَفَتْ عينى عن التغميض حَتَّى
كأن جفونَها عنها قِصارُ

وفاء الأهداب للكحل!

حتى العيونُ إذا ما الكُحْلُ فارقها
يبقى بأهدابها من ظِلِّه أثرا!!

وليس التحلل فى العينين كالكحل(١)

وزادت على كَحَلِ الجفون تكحُّلاً ويسمُ نصلُ السيف وهو قَتُولُ

حرب الجفون

وإذا كانت حرب البسوس قد استمرت أربعين سنة فمن الشعراء من يرى بين جفون محبوبته وقلبه حربا لا تتوقف ...استمع إليه يقول:

وحوراءُ اللواحظِ بين قلبى
وبين جُفُونِها حربُ البسوسِ!

تقليب الأجفان

* ومما جاء فى شعر المتنبى عن الليل وتقليب الأجفان فيه:

أقَلِّبُ فيه أجفانى كأنى
أعُدّ بها على الدهر الذُّنُوبَا!

---

(١) الكَحَل : (بفتح الكاف والحاء) سواد الأجفان خلقة .
أما التكحل فهو وضع الكحل فى العين لتزداد جمالا . فما بالنا إذا اجتمعا ؟

آه من عَقْد الحاجبين!

*** وللحاجبين لغة يفهمها المحبون!**

وتعتريهم خيبة الأمل حين يبدُوان معقودين على الجبين اللجين[1] ، ويزداد الموقف بعقدهما تعقيدا ...فيقول محب أشرق الأمل فى نفسه حين اللقاء... ولكن ... وآه مما بعد لكن ....إنه يقول:

كمْ سَـــهّل خـــدُّك وَجْـــهَ رضًـــا

والحـــاجبُ منك يُعَـــقّـــدُه!

* ويشاركه الشكوى محب آخر فيقول:

يا عاقدَ الحاجبـــين	**على الجبين اللُّجَيْن[2]**
إن كُنْتَ تَقصِدُ قتلى	**قتلتنى مرتـــــين!**
تمرّ قَفْزَ غـــــزالٍ	**بين الرصيف وبينـــى**
ومانَصبْتُ شباكـــى	**ولا أذنتُ لعَيْنـــــى**
تبدو كأن لاترانـــى	**ومِلْءُ عينيك عَيْنـــى[3]**
ومِثْلُ فعلك فِعْلـــى	**وَيْلى من الأحمـــقين!**

كأن جفونى والكرَى عُذَّل

* مضت عليه سنة لم يذق للنوم طعما ...ترى أى سر ذلك الذى حال بينه وبين النوم؟ إنه يقول:

ولى سَنَةٌ لم أدرِ مـــا سِنَةُ الكَرَى

كأن جفونى مَسْمَعٌ والكرى عُذَّلُ[4]

---

(١) اللجين الفضة ، والمراد : الجبين المشرق الوضاء المتألق !

(٢) عقد الحاجبين أو الجبين : قطبه ، وذلك يوحى بالغضب ، والتهيؤ للشر .

(٣) عينى : بمعنى ذاتى .

(٤) السنة : مقدمة النوم . والكرى النوم والعُذّل : جمع عذول .

* ويصف لنا أحدهم قدرته على اختراق الحجاب الصعب فيقول:

كالطّيف يأبى دخول الجَفْنِ مُنْفَتِحا

وليس يدخلُه إلا إذا انطبَقا

لذةُ المحبوب بالنّظر

* يرى البُهلول أن الوصلَ يُفسد المحبة ، وأن لذة المحبوب بالنظر! ...فيقول:

سألته الوصْلَ يومًا ، قال منعطفًا:

رَاجعْ سؤالك واحذر راية الخَطرِ

إن المحبةَ طبعُ الوَصْلِ يُفْسِدُها

وإنما لذةُ المحبوب بالنَّظَرِ!

* ولكن ابن الرومى يرى فى النظر مقتلا فيقول:

عينى لعينك حين تنظُر مقتَلُ

لكن لحظَك سَهْمُ حَتْفٍ مُرْسَلُ

ومن العجائب أنّ معنىً واحداً

هو منك سَهْمٌ ، وهو منّى مَقْتَلُ

* ومن المحبين من يتوقف شفاؤه على نظرة إلى المحبوب فيقول:

مرضَ الحبيبُ فعُدْتُه ... فمرضتُ من حذرى عليه

وأتى إلىّ يعودُنى ... فبرئت من نظرى إليه!

هذى عيون وتلك عيون!

فماذا رأى فيها المحبون؟!

* تمتلىء كتب الأدب بتشبيهات العيون التى هام بها الشعراء : فمنهم من يشبهها بالسِّهام فى تأثيرها ووقْعها الأليم:

وكما شبهوها بالنِّصال شبهوها بالنبّال ، أو بالسيف أو بالخِنجر ، وكل آلات القتال والفتك!!

* ومنهم من شبهها بالنّرجس ، لما فيه من فتور ، فيقولون : العيون المِراض ، وهذا المرض خير من ألف صحة وإليك بعض هذه التشبيهات:

* فمِمَّا جاء من حُسْنِ التعليل:

قالوا : اشتكت عينُه ، فقلت لهم:

من كثرة الفَتْك نالها وصَبُ[1]

حُمرتُها من دماءِ مَن قتَلَتْ

والدمُ فى السيف شاهدُ عَجَبُ!

عيون بينها وبين الردى نسب!

* ويحدثنا أبو القاسم العَطّار عن الحب وما تفعله «الأعين الدُّعْج» ، فيقول:

الحُبّ تسْبَحُ فى أمواجِه المُهَجُ

لو مَدَّ كفًا إلى الغَرْقَى به - الفَرَجُ[2]

بَحْرُ الهَوى غرِقَتْ فيه سواحلُه

فهل سَمِعْتُمْ ببحر كلُّه لُجَجُ

---

(١) الوصَبُ : التعب .

(٢) وفى أمواج بحر الحب تتعرض المهج للغرق فلا تجد من يفرج كربتهم ويأخذ بأيديهم ، ويتمنى المحبون أن يأتيهم الفرج فى صورة منقذ .

بين الهــوى والرَّدَى فى لحْظه نَسَبُ

هذى القلوبُ ، وهذى الأعيُنُ الدُّعْجُ

وعيون تسطو على المهج

* وها هو ذا فرج الإشبيلى يحدثنا عن ذلك الحَوَر فى مُقلتَى حبيبه فيقول:

لقــد عَلِقْتُ ببــدْرٍ زانه حَــوَرٌ

فى مُـقلتيـه ، به يسطو على المهج!

عيون جاحدة

* وقد مر بنا قول شوقى معارضا الحُصْرى:

قــد جــحــدت عــيناك زكىّ دَمى

أكــذلك خــدُّك يجــحــدهُ؟!

قــد عَــزّ شــهــودى إذ رمَــتَــا

فــأشــرت لخــدك أُشــهــدُه

وعيون متكلمة تجيد التخاطب

* ومّر بنا قول شوقى فى جارة الوادى:

وتعطلت لغــةُ الكلام فــخــاطبت

عــينىّ فى لغــة الهــوى عــيناك

عيون صامتة

* ويقول فيها الشاعر غازى الكيلانى تحت عنوان: «أقصوصة الزنْبقة»:

يقطر صمتُ العيون...

رحيقَ الهوى....

ومعانى الفضيلة...

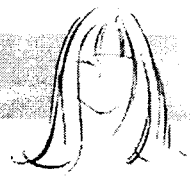

وعيون نائمة!

* وآه من تلك العيونِ النائمة اليَقْظَى!

يقول الشاب الظريف:

ياراقـدَ الطَّرْفِ مَـاللِطرْفِ إغـفـاءُ

حَـدِّثْ بذاك فـمـا فى الحبِّ إخـفـاء!

عيونُ عاتبة هازئة!

* يحدثنا عنها البهاء زهير فيقول:

أقـول له : صِلْنى . يقـول : نعم غـداً

ويكْسِـرُ جَـفْنًا هازئًا بى ويَعْـبثُ!

وعيون فاتكة راميات بأسهم!

* يقول المتنبى فيها:

وعـيـونُ المهـا ، ولا كَـعُـيـون

فـتكت بالمتـيَّمِ المعـمـودِ

رَمـيـاتٍ بأسـهمٍ ريشُـهـا الهُـدْ

بُ تشق القلوبَ قـبل الجلودِ

عيون فَتّانة قَتّالة تُعيد الشيخ إلى شبابه!

* ويقول المتنبى:

وفـتـانةُ العَـيْنين قَـتّـالة الهـوى

إذا نفـحت شـيـخـا روائحُـهـا شَـبّـا

وعيون تصف سُقْمَ القلوب

* يحدثنا عنها أبو سعيد الرُّستُمى فيقول:

ووصـفن سُـقْم قُلُوبَنا بعُـيُـونهـا

فـشَـفَـيْن مِنّا غُلةَ الأكـبـادِ

أعين مراض

* ويقول ابن المعتزّ:

وسْنانُ قـد خـدع النُّعـاسُ جُـفُـونَه

فـحكى بمقلتـه ذُبُولَ النَّرجس

* ويقول ابن عباد:

ونظَرْنَ من خَلَلِ السُّـتُـور بأعينٍ

مَـرْضَى يخـالطهـا السّـقـامُ صِحَـاحِ

وعيون تجلب الشوق القديم

* ويسلط «على بن الجهم» الضوء على ماتفعله عيونُ المها [1] بالمحبين فيقول:

عـيـونُ المَهـا بين الرُّصـافـة والجِسْـرِ

جلَبْن الهوى من حيث أَدْرِى ولاَ أَدْرى

جَلَبْن إلىّ الشـوق القـديمَ ولم أكن

سَلَوْتُ ، ولكن زِدْن جَمرًا على جَمْرِ

عيون جائرة

ويطلب أحمد بن عبد الملك حَكَمًا يُنصفُ الرجالَ من جَوْر العُيُونِ ،

(١) المها جمع مَهاة . البقرة الوحشية ، وعيون المها معروفة بسعتها وشدة سواد سوادها .

فيقول:

يالَلرِّجـالِ ! أمـا فى الحُبِّ من حكَمٍ

يَنْهَى العيُـونَ إذا جـارَتْ ويَزْجُـرهَا؟

وعيون هنعيفة كر الطرف

يقول فيها أبو نُوَاس:

ضـعـيـفُـة كَـرّ الطْرفِ تحسَبُ أنهـا

قـريبـةُ عـهـد بالإفـاقَـةِ من سُـقْمِ

عيون غَرَّارَةٌ خَدّاعة

* يقول المتنبى فى شأنها:

أقـــســـمـــوا لا رأَوْكَ إلا بقلب

طالما غَـرّتِ العـيـــونُ الرجـــالا:

* ولا عجب فكثيراً ما تُخْطِئُ العيون:

وربما قـــالتِ العـيـــون وقـــد

يصـدق فـيـهـا ، ويكذِبُ النظر!

وعيون يائسة حائرة منكسرة!

وعـيـــونٍ وراءَ أهدابِهـا أشـبـاحُ

يأسٍ فى حَـيـــرةٍ وانكســـارِ

تُؤْثِرِ الظِّلَّ والظَّلامَ ارتيـــاعًـــا

من ضـيـــاءٍ يَبُـــوحُ بالأســـرار

عيون ترمى بسهام أجفانها

* ويقول صلاح الدين الصفدى:

بسَهْمِ أجفانه رَمَانـــــــى فذُبْتُ من هَجرِه وبَيْنِهْ[1]
إن مُتّ مالى سواه خَصـــم لأنه قاتلى بِعَيْنِـــــه!

وعيون تصيد بسحر جُفُونها

* وقد مربنا قول أمير الشعراء أحمد شوقى:

قد جاء من سِحر الجفون فصادنى
وأتيتُ من سِحر البَيان فصِدْته[2]

عيون تسرق الحُسْن

* ومما اختاره الأستاذ العقاد للخليفة المأمون تحت هذا العنوان:

بعشتكَ مُشتاقا ففُزْتَ بنظرةٍ
وأغْفَلْتَنى حتى أسأتُ بك الظّنّا
أرى أثراً بعـــــينيك لَمْ يكن...
لقد سرقت عيناك من عينها حُسْنَا

وعيون آسرة تصيد من يحاول صيدها

* وجاء فى قصيدة الحُصْرى الدالية التى عارضها كثير من الشعراء قديما وحديثا لروعتها وقد سبق عرضها:

نَصَبَتْ عيناىَ له شركاً فى النوم فعزّ تَصيُّدُه
وكفى عجبا أنى قَنصُ للسِّرب سَبانِي أغْيَدُهُ

(١) البين : الفراق ، والجفوة والبعد والتنائى .

(٢) وهذا يتفق مع قول الآخر :

كل من فى الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات !

وعيون لا تنام

عبر عنها الشاعر عمر بن أبى ربيعة بقوله:

قـالت : ترقب عـيـونَ الحَيِّ إن لهـا

عـــينا عليك إذا مـــا نِمْتَ لم تَنَمِ

عيون لا تُبْصِرُ إلا من القلب

ويقول:

يُزَهِّدنى فى حُبِّ عَـبْـدَةَ مـعـشَـرٌ

قُلوبُهُمُ فـيـهـا مُـخـالفـةٌ قلبى

فقلتُ : دَعُوا قَلْبى وما اخْتَارَ وارتضى

فـبـالقلبِ لا بالعينِ يُبْـصِـرُ ذو اللُّبِّ

وما تُبصر العَينان فى موضعِ الهوى

ولا تســـمعُ الأُذْنَانِ إلا مِنَ القلب

وللضمير عين

قال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم:

لئن كـان عن عـينىّ أحـمـدُ غـائبـا

فـمـا هو عن عين الضـمـيـر بغـائب

له صورة فى القلب لم يُقْصِها النوى[1]

ولم تَتَـــخطفـــهـــا أكفُّ النوائب

---

(١) النوى : البعد .

وللقلب عين!

* ويقول أحمد بن يوسُف:

تطاوَلَ باللقـــاء العَـــهـــدُ منّا
وطولُ العَـهـدِ يقـدَحُ فى القُلوبِ
أراك وإن نـأيـتَ بـعـينِ قَـلْـبِـى
كـأنكَ نُصْبَ عَـيْنِي من قَـريب
فـهل لى فى الرَّوَاح إلى حـبـيبٍ
يقَـرُّ بعـينهِ قُـرْبُ الحـبـيبِ

وللوهم عين

* وقال آخر:

أَمَـا والذى لو شـاء لم يَخْلُقِ الهـوى
لئن غِبْتَ عن عينى، فما غبتَ عن قلبى
تُرِينِيكَ عينُ الوهم حـتى كـأننى
أناجيك من قُرْبٍ وإن لم تكن قربى

عين العُلا

قالوا : ليس لأبى تمام أجود وأحسن فى المراثى من قوله:

أَلاَ إنّ فى كَفِّ المَنِيّـة مُـهْـجَـةً
تظَلّ لهـا عينُ العُـلاَ وهى تَدْفعُ

عين الرضا وعين السُّخط

قال: الشاعر :

وعينُ الرضـا عن كلِّ عَـيْبٍ كليلَةٌ

كـمـا أنّ عينَ السُّـخْطِ تُبْـدِى المسَاوِيَا

عين سليمة وعين سقيمة!

قـد تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشمس من رَمَدٍ

ويُنكر الفَمُ طعمَ الماء من سَـــقَمِ!

العيونُ السُّود

ويقول جمال الدين بن مطروح محذِّرا منذرا من طرفها الساحر الفاتر:

خذوا حِذركم من طَرْفها فهو ساحرُ

وليس بناجٍ من رَمَـتْـه المحـاجِـرُ[1]

فـإن العـيـونَ السُّـودَ وهْى فـواترُ

تَقُـدُّ السـيـوفَ البـيضَ وهْى بَواتِرُ

عيون تُبدى البغضاء!

تَظَلُّ فى قلبِـه البـغـضـاءُ كـامنةً

فـالقَلْبُ يكتُـمـهـا ، والعَيْن تُبـديهـا

والعينُ تعـرف فى عَـينَىْ مُـحَـدّثهـا

مَن كـان من حِـزْبهـا أومن يعُـاديهـا

---

(١) المحاجر : جمع مَحجِر – بكسر الجيم – ويقصد به هنا ما أحاط بالعين .

العيونُ المحتالة

* وللشعراء فيما يعشقون مذاهب! فهذا شاعر تستهويه العيون المحتالة فيقول:

أُحبُّ هذا اللؤمَ فى عينيها ... وزُورَها إن زوَّرَتْ قولَهـــا
وألْمَحُ الكذْبةَ فى ثغرِهـــا ... دائرةً باسطةً ظلَّهَـــا
عينَ كعين الذئبِ محتالـة ... طافت أكاذيبُ الهوَى حولَها

عيون جارحة!

* وكانت ولّادة تقول:

لحاظكمُ تجرحُنا فى الحَشَـا ... ولحظُنَا يجْرَحُكُمْ فى الخُـدود
جُرْح بجُرحٍ فاجعلوا ذا بذا ... فما الذى أوجب جُرحَ الصُّدُد؟

عين صُلْبة تفلق الحجر

* لإسماعيل بن القاسم : أبى العتاهية .قصيدة سهلة الطبع، سَلِسَةُ النظام ، قريبة المتناول فى مدح عمرو بن العلاء ، ويروى أنه وصله عليها بسبعين ألف درهم فحسده الشعراء! وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه برّه قليلا فكتب إليه يستبطئه:

أصابتْ عَلَيْنَا جُودَكَ العَيْنُ يا عُمَرْ
فنَحنُ لها نَبْغِى التَّمَائِمَ والنُّشَرْ[1]
أصابَتْكَ عَيْنٌ فى سخائك صُلْبَةٌ
ويارُبَّ عينٍ صُلْبـةٍ تَفْلِقُ الحجـر
سنَرْقيكَ بالأشعار حتى تَمَلَّهَا
فإن لم تُفِقْ منهـا رَقَيْنَاك بالسُّوَر

(١) جمع نُشْرَة ، وهى الرّقية يعالج بها المريض ونحوه . وأما التمائم فهى جمع تميمة ، وهى ما يعلق فى العنق لدفع العين .

عيون الرقباء!

والرقباء مكروهون ممقوتون من المحبين ، ويحكى الجاحظ طُرفة تدور حول الرقباء ومن على شاكلتهم فيقول: مرض ابن عبيدة فدخلت عليه عائدا ، وقلت له:

ماتشتهى يا أبا الحسن؟ فقال:

* عيونَ الرقباء!
* وألْسُنَ الوُشاة!
* وأكبادَالحُسَّاد!

بشار يخشى مصارع العشاق!

وبعض المحبين يخافون الناس ... ولا يخافون الله ، وهو معهم ! أملا فى أن يُسامحهم...إنما يخافون الرقباء ، ويخشون مصارع العشاق ، ويقول هارون بن المنجم : أشعر بيت فى الغزل قول بشار:

أنا – والله – أشتهى سحر عينيك

وأخشى مصارعَ العشاق!

عيون أصابت كل عين

* ويقول ابن جنى فى أعور مليح:

له عين أصابت كُلّ عينٍ

وعينٌ قد أصابتها العيون!

وعيون تُزْهِرُ أغصان أهدابها

* وهذا شاعر نزل المحبوب منه منزلا كريما ، فأسكنه حديقة مقلته ، فلا

عجب أن رأينا أغصان أهدابه تُزْهِرُ بدمعه ....إنه يقول:

نزلوا حـديقـة مُـقْلتى أوَ مَـاترى

أغـصـانَ أهدابى بَدمْـعِى تُزْهِرُ؟!

عيون متفاوتة فى الوصل!

* من أجمل ما قاله ابن «حمديس الصِّقِلّى» فى العيون:

فاوضَتْ - فى الوصل- عينى عينَها

فازدَهَتْ عجبًا ، وقالت : مالديك ؟!

عيون تَعِد وتُخْلِفُ

* يقول الشريف الرضى:

وعـدٌ لعـينيكِ عندى مـاوفـيتُ به

ياقـربَ مـاكـذّبَتْ عـينىَّ عـيناك

عين الرَّشَا

* أما داود بن الملك الناصر ، فيرى «عين الرشأ» (١) سر تعذيبه ، فيقول:

لو عـاينَتْ عـيناكَ حُـسْنَ مُـعَـذّبى

مـالُمـتَنى ، ولكنتَ أوّلَ مَن عَـذَر

عينُ الرّشَـا ، قَـدّ القَنَا ، رِدفُ النّقـا

شَعْر الدُّجى، شمسُ الضُّحى، وجْه القَمَرْ

وقديما قال شاعرنا : * **حَسَنٌ فى كُلِّ عينٍ مَنْ تَوَدّ** *

---

(١) الرشأ : (بالهمزة ويخفف) ولد الظبى ، إذ قوى وتحرك ومشى مع أمه . والقدّ القامة والقوام . والقنا: اسم جنسى جمعى واحدته قناة : الرمح الأجوف ، وكل عصا مستوية قناة ، فقدها مستو كالقناة . والردف : مؤخرة المرأة وعجزها وكفلها ، والنقا : الكثيب من الرمل . وقد جمع هذا البيت ستة تشبيهات تبرز جمال المحبوبة وحسنها .

تشبيهات

فازت العيون بالنصيب الأوفى من التشبيهات...

* فشبهوا العين بعين الغزال ، والمهاة ، والنرجس.

* وشبهوا نظراتها بالسيف ، والسهم ، والنبّل ، والسِّحر.

* وشبهوا أهدابها بريش السهام ، وقوادم الطير.

* وشبهوا الحاجب بالقوس والنون.

* فيقول ابن حجلة المغربى فى تشبيه الحاجب بالنون:

يرنو إلى بعين ، نونُ حـاجـبـهـا

كالقوس تُصْمِى الرمايا وهى مِرنَانُ(١)

* والشطر الثانى مأخوذ من قول ابن الرومى:

تُصْمِى المحبّ ، وتلقى الدهرَ شاكيةً

كالقوس تُصْمِى الرمايا وهى مِرْنانُ

* وقول ابن نباتة:

أغمزه بناظـر ... ولم أفُهْ بكلمـه

يُجيبنى بحاجبٍ ... لكن بنون العظمه

* وسرقه الصفدى فقال:

إن قُلتُ : زُرْنى ، قـال : لا

بحـاجب مـا أظلمـه!

فـمـا ترى جـوابه

إلا بـنـون الـعـظـمـة!

---

(١) تصمى : تصيب . ومِرْنان : لها صوت ، ويقال : قوس مرنان .

ونون العظمة هى : نون المضارع التى للمتكلم مع الغير لأنه يتكلم بها المعظم نفسه.

وحاجبُه نون الوقاية ماوقت

على شرطها فعل الجفون من الكسر[1] !

أما وقد استعرضنا لغة العيون فتعال إلى الدموع ودموع الدموع!

(١) نون الوقاية يأتى بها النحاة لوقاية الفعل من الكسر ، حين يتصل بياءِ المتكلم التى تستدعى كسر ما قبلها ، وعندئذ نأتى بالنون لتقى آخر الفعل من الكسر كما فى : أكرمنى ، ويكرمنى ، وأكرِمنى .